محمد غني حكمت
يستعيد ذاكرته الضائعة على بوابات بغداد

لا أعيش في المنفى ولا احلم إلا بالعودة إلى أحضان الوطن

◆ حاورته في عمان:

ميادة داود

رغم انه على أعتاب الثمانين ، لكن محمد غني حكمت الذي يعيش في منفاه الأخير وسط العاصمة الأردنية عمان، ما زال يتحرك في مشغله مثل شاب يحلم أن ينجز شيئا ما، أكثر جمالا وألقا من كل ما أبدعه من قبل. تفاعله مع حكمت، العراق كل يوم لم يمنعه من الحلم بأن ثمة ما سيورق في بلاده التي تركها في حروب دائمة رغم دموية المشهد وضبابيته التي لا يحدد ملامحها إلا فنان يجيد العزف على أوتار الحجر، فيحيله حياة تنبض ، وخيالات لا نهاية لها.

محمد غني حكمت ، نحات عراقي معاصر ، ولد في بغداد عام 1929. وتخرج من معهد الفنون الجميلة عام 1953. حصل على دبلوم الميداليات من مدرسة الزكا - روما عام 1957. ثم حصل على دبلوم النحت من أكاديمية الفنون الجميلة في روما عام 1959. ثم على الاختصاص في صب البرونز من فلورنسا عام 1961. وحصل على جائزة أحسن نحات من «مؤسسة كولبنكيان» عام 1964. كان عضوا مؤسسا في جماعة الزاوية وتجمع البعد الواحد. وعضوا في جماعة بغداد للفن الحديث . له مجموعة من التماثيل والنصب والجداريات في ساحات ومباني مدينة بغداد منها: تمثال شهرزاد وشهريار، علي بابا والأربعين حرامي ، حمورابي، جدارية مدينة الطب ، تمثال للشاعر العربي المعروف أبو الطيب المتنبي و نصب الحرية الذي ساهم في انجازه بعد وفاة النحات العراقي الراحل جواد سليم أثناء العمل في النصب . وها هو يعيش الآن في عمان ويقضي أغلب وقته في إكمال مشواره الفني الذي ابتدأه قبل أكثر من ستين عاما.

– عـملك الأخيـر الذي أطلقت عليـه (الأيام السبـعـة) هل هو خلاصـة لما مضى، أم استلهـام لشيء لا نراه في أفق محمد غني حكمت؟

-التسمية مجرد رمز لاستمرارية الحدث في العراق، أيام الأسبوع تتكرر بلا نهاية، والأسبوع يأتي بعده أيضا أسبوع آخر. يشبـه تماما تلك القضيـة المزمنة التي يعيشـها العراق منذ أربع سنوات حتى الآن ، المآسي تتكرر أسبوعيا ، هذا انطباعي أنا عن ما يحدث من مآسي حزينة في العراق ، والفكرة أظنها بسيطة على تعقيدها ، مثل المتوالية ، أنا لم احدد في عملي أن هذا يوم سبت وهذا يوم احـد ، على الإطلاق ، لأنهـا أيام تعـيـد تكرار نفسها بلا انقطاع . احد هذه الأعمال مثلا يصف يوما يحدث فيـه انفجار تتطاير على أثره الأشلاء والأرواح في السماء واليها ، وهناك عمل يجسد يوم آخرا يقوم العسكر فيه بقتل مواطن ، وعمل ثالث يمثل يوما آخرا في العراق ، يرمـز لصـواريخ مـجـهـولة المصدر تأتي من كل اتجـاه فتمزقـه وهو لا يقوى على شيء ...وهكذا تتكرر الأيام والمآسي .

– وأنت تفكر بعمل جديد، ثمة خليط غريب في المكان والزمان يتجسد في أعمـالك؟ هل هو عودة للجذور أم انطلاق إلى القادم؟

-غالبا ما يكون الماضي قاعدة الانطلاق الأولى لي، خصـوصا إلى تلك البيئة التي ترسخت في وعيي، أنا أحس بعراقيتي وأراها تتمثل بوعي أو دون وعي، في كل أعمالي، هناك كثير مثلي يؤمنون بالهوية العراقية التي تحتاج إلى أسلوب مميز لمحاكاتها، أحترم منابع الإبداع لدى الآخرين ، الفن الأوربي تكويناته رائعة، التجريد والسريالية والفنون الآشورية والفن الإسلامي وغيـرها منطلقات إبداعية لا يمكن لأي فنان أن لا يقف عندها، لكن بالمقابل، هناك

خصوصية لي كفنان عراقي، هناك تواصل مع الجذور، كما إنني اشعر بمسؤولية خاصة ولست نحاتا عبثيا ، أنا إنسان ومواطن عراقي أعيش في ظروف صعبة ، أشارك الآخرين همومهم وأعبر عنهم بتوثيق ما يحصل لهم ، جزء من عملي سيكون تأريخا لحياة شعب أنا انتمي إليه، ستبقى هذه الأعمال لتجسد حقبة مهمة من تأريخ العراق ، أعمال البرونز على وجه الخصوص تساعدني في هذا الهدف لأنه معدن يتحمل آثار الأزمان الآتية . عندما أراقب الحياة اليومية في العراق من خلال نشرات الأخبار والفضائيات، أحس إن هناك مآسي يجب أن تجسد. فأندمج مع الفكرة، وابدأ بالعمل الذي يقودني إليه ما يختزنه وعيي من كل هذا.

- **لكن في أعمالك زيارة مكررة لحقب تاريخية أبعد من هذا الهم الذي تتحدث عنه؟**

-أنا أستند إلى الأساطير العراقية القديمة أحيانا ، ولدي عمل في مدخل فندق عشتار شيراتون ، وهو من الأعمال التي اعشقها ، فقد نحتتها من المرمر وهو الحجر الذي أفضل العمل به ، وعندي عمل شهرزاد وشهريار ، وعلي بابا والأربعين حرامي من التراث البغدادي يجسد كهرمانة وهي تلقي الزيت الساخن على رؤوس اللصوص في الجرار. لكن من ناحية أخرى هناك حياة أنا جزء منها الآن، وهي دخلت عنوة ضمن الأيام العراقية السبعة، فهناك أزمة العوائل المهجرة التي حركت في داخلي الألم وأنا أرى أطفال بلادي يسكنون الخيم وهم في حيرة من أمرهم ، ولهذا صممت العمل بالبرونز على شكل نساء عراقيات مع أطفالهن، يتلفت كل فرد من هذه العوائل باتجاه معين لعله يجد من يغيثه . ما يحصل في العراق كبير ومحزن ولا يمكن أن يقف الفنان العراقي أمامه صامتا ، إنما يجب أن يشارك فيه بإحساسه ليريَ العالم مدى فداحة

خسارة الإنسان العراقي ومآسيه .

– هل صادف أن وقفت أمام عمل وعجزت عن إنجازه ؟

– كل عمل أفكر فيه أنجزه ، لاتوجد عندي أعمال غير منجزة ، باستثناء عمل واحد سأنجزه بمجرد توفر الظروف الملائمة ، وهو تمثال السندباد البحري ، واعتقد إن سبب عدم انجازه حتى الآن هو إن السندباد البحري مثلما لديه سبع رحلات في البحر ، فقد قدر لتمثاله سبع رحلات حتى يستقر بالطريقة التي فكرت بها ووضعت مخططها، وهو بالضبط في وسط نهر دجلة بين المياه التي لطالما أبحر إليها السندباد وخاض مغامراته فيها ، وأنا عندي موافقة من الدولة منذ السبعينات ولكن دائما يتوقف التنفيذ لسبب أو لآخر ، مثل تبديل أمين العاصمة أو حرب ، هكذا في كل مرة ، لكن أنا من شدة حبي لهذا المشروع أعتبره تحديا وعندي إيمان قوي إني سأنجزه يوما ما .

– الحرب الأخيرة على العراق شهدت تدميرا وسرقات للأعمال الفنية في العراق، ما هو حجم التدمير الذي لحق أعمال محمد غني حكمت ؟

-الكثير منها سرق وتحول الى مجرد مئات من الكيلو غرامات لها سعر محدد في سوق الخردة، هذا مؤلم، لكنه مفهوم بالنسبة لي تماما، اللص الذي سرق أعمالي يريد أن يعيش، كل العراقيين لولا الحاجة لا يقومون بالسرقة، السرقات كثرت لأن العراقي يعاني البطالة والعوز، وما أقوله ليس تبريرا، نحن لدينا شعب فريد في خصائصه والعراقي هو أول من نحت تمثالاً، وحب الفن موجود في جينات العراقي فهو يميل للأدب والشعر والموسيقى والرسم، وما حصل هو نتيجة طبيعية لفترة مظلمة عشناها جميعا. لكن على

العموم فإن أعمالي لم تتعرض للتلف والتدمير بشكل واسع، ذلك لأني في كل حياتي لم أكن سياسيا ولم أنتمِ لأية جهة، ولذلك ما ساهمت به من أعمال ليس لها علاقة بالسياسة، فأعمالي تتركز في الأسطورة والقصص التاريخية.

ولأكن دقيقاً فقد تحطم تمثال لأبي جعفرالمنصور، ولم يتم تحطيمه بفعل فاعل، إنما سقط أثر انفجار قريب وجمعته الدولة واحتفظت به من اجل الترميم.

كما اختفى تمثال كان موجودا في مديرية السياحة بشارع حيفا، ولا اعتقد إنه أخذ لغرض التسييح كما في بعض الأعمال، إنما من سرقه أخذه لأجل الاحتفاظ به وهو عبارة عن نافورة لأمرأة عراقية جميلة أسميته الكرخية تم تفكيكه بعناية وسرق بالكامل.

– لماذا تبدو الفترة الحالية كأنها مجدبة في الفن العراقي بعكس ما كانت عليه الحالة في فترة الخمسينات والستينات التي أنتجت عراقيين أصبحوا فيما بعد أصحاب مدارس؟

-من وجهة نظري هذا ليس صحيحاً، فعملية خلق الفنان ليست عملية سهلة ولاتتم بين ليلة وضحاها. لا أحد يفهم عملية صنع الفنان، فهي تحتاج وقتا لاستيعاب الحالة الكامنة إلى أن يتم طرحها، ويحتاج عملا، ويحتاج وقتا.

حاليا أعتبر الفنان العراقي في حالة حمل، والكل يعرف إن الجنين يحتاج وقتا للتكوين إلى أن تأتي مرحلة المخاض والولادة، ومع الظرف الحالي الكل في حالة حزن يتراكم داخلهم إلى أن يخرج مرة ثانية قريبا، وكل الفنانيين لديهم نفس الشعور، وانتظروا إلى أن تختمر الأمور ويجد الفنان بصيص أمل ونور في نهاية النفق فتعود الإنطلاقة كما لم يتوقعها أحد، ويعود الفن العراقي وتبقى الريادة للفن العراقي.

– ما الذي يمكن أن يساهم في تعزيز إنطلاقة الفنان العراقي، الدعم المادي أم المعنوي أم كلاهما؟ وهل يجد الفنان العراقي دعما ماديا مناسبا في الوقت الحالي؟

– لم يحظ الفنان العراقي في حياته بدعم مادي من أحد لا في السابق ولا حالياً ، كما إنه اعتاد على أن يكون له عمل يساعده ماديا، أغلب الفنانيين العراقيين إما مدرسين أو موظفين، لكنه يحتاج الدعم المعنوي بالتأكيد، توفير الظرف الصحيح هو الذي يخدم الفنان، الدعم المعنوي من قبل عائلته ومجتمعه وكل المفاصل الثقافية التي تحيط به.

– لكن الآن هناك ثقافات أخرى تحيط بكم كفنانين، هناك ما يمكن أن نسميه (أزمة التكفير) هل من الممكن أن يجد الفنان دعما مجتمعيا إذا ما كان هناك رأي وفكر مخالف لعمله، خصوصا النحات؟

– في حياتي كلها لم أتعرض للتكفير، ما خلا حادثة أثناء طفولتي عندما كنت ألعب مع الأطفال قرب النهر بالطين، وأصنع منها تماثيل، أحتج أحد أصدقاء أبي، لكني اعتبر نفسي محظوظاً لأن أهلي كانوا متفتحين وحصلت على عنايتهم . كما إن الإسلام لم يمنع النحت انما الأوثان والأصنام التي كانت تعبد في الكعبة، ولو كان الإسلام حرم النحت ككل، لهدموا تماثيل مصر عند الفتح أو

التماثيل في القدس، ولهدموا التماثيل في العراق بعد الفتح. لا أنحت شيئاً ليعبد، أنا أنظر للعمل من الناحية الجمالية وكقيمة فنية، كما إنني أكتشفت إن العراقيين عامة يستجيبون للنحت، يميلون إليه، ربما هذا ما ورثوه من حضارتهم التي امتدت لآلاف السنين، من يدري.

– أيهما أصعب بالنسبة لك، العمل مع الحجر، أم صب البرونز؟

- لكلاهما مميزات وصعوبات، بالنسبة لي طبيعة العمل والفكرة هما اللتان تحددان بأي شيء سأحول الفكرة إلى مادة مجسدة، الفكرة هي التي تختار البرونز أو الحجر، لكن الآن هناك دور للآلة التي دخلت في نحت الحجر، وأصبح العمل بالحجر أسهل بكثير مما مضى، أحيانا تكون الفكرة صالحة للتطبيق على البرونز أو الحجر، وتبقى الاحتمالات مفتوحة أمامك كفنان لاختيار الأنسب حتى اكتمال العمل كله.

– هل هذا يعني أنك تستعين بالآلة لتنفيذ أعمالك حاليا؟

- لا، أنا أفضل أن أقوم بالعمل بطريقة كلاسيكية قديمة، ولا أرتاح لإدخال الماكنات إلى أعمالي واتمتع بالعمل يدوياً. أما البرونز فاعتمد فيه على طريقة الصب بالشمع، وهي غير معروفة هنا في الأردن لأنهم يعتمدون طريقة الصب بالرمل، وهي تعتبر قديمة ولا يمكن تنفيذ الأعمال الدائرية بها، لذلك أفضل العمل بالشمع.

– في الأعمال التي تجسد المرأة العراقية نراك دائما تعتمد العباءة التي قلت ذات مرة إنك ضدها كرداء. ألا يعد هذا تناقضاً؟

- ليس تناقضا بقدر ما هي واقعية. أنا لا أفضل العباءة كرداء للمرأة، لكني أنظر إليه من ناحية جمالية فنية، وهي تعكس واقع المرأة العراقية منذ عصور، في أعمالي عن العوائل المهجرة تقف المرأة العراقية مرتدية عبائتها كخيمة تجمع أبناءها حولها، هي رمز لحياتنا التي مضت. هذا ليس تناقضاً بقدر ما هو جمالية وانعكاس للبيئة التي تعيش فيها المرأة العراقية.

– أنت من الفنانين الذين اختاروا منافيهم كي

يستمروا في إبداعهم، كيف تقيم تجربتك مع الاغتراب مع المنفى؟ هل هو مؤقت، أم إن الحراك الثقافي هنا يعوضك عن الوطن كبيئة للعمل والإبداع ؟

- أنا لا أعتبر نفسي مغتربا ولا منفيا، أنا خرجت من العراق للتداوي والعلاج، فكلفت بأعمال وبقيت على أثرها في الأردن، أنتج وأعمل وأقوم بأعمال نحت من الحجر والبرونز، هناك جدارية نفذتها عن الثورة العربية بالحجر الأبيض تمثل الثورة وتقسيم الدول العربية في اتفاقية سايكس بيكو، وغيرها من الأعمال الصغيرة والكبيرة. وهذه المرحلة ربما تكون انقطاعا للعيش في الوطن، ولكنها بالتأكيد ليست انقطاعا عن الوطن أو عن حركة الفن التي لن تتوقف على الإطلاق.

- هل هناك مشروع كبير ينوي محمد غني حكمت انجازه قريبا ؟

- هناك عمل تم الاتفاق عليه حاليا، كلفت به من قبل أمانة عمان، وهو عبارة عن نافورة كبيرة في وسط مدينة عمان، عندي الأمل أن أنجح بها، وقد وضعت مخططها وأعتزم أن تكون مفاجأة جميلة جداً للجميع، إلا إني لن أعلن عن فكرتها أو تفاصيلها إلا بعد أن ينفذ.

- نأمل أن يكون العمل الذي يليه في بغداد ، ما رأيك، هل هذا ممكن؟

- أنا أتمنى أن تكون كل أعمالي القادمة في بغداد، إنها المدينة التي احتوت أعمالي وأفردت لها مساحات في قلبها النابض على الدوام.

❖ **عندما سمع تشرشل قول أحمد شوقي إنما الأمم الأخلاق ما بقيت، قال هذا يقصدنا نحن الإنكليز، ولمّا سَمِعَ ديغول قول شوقي (فإنْ ذهبت أخلاقهم هم ذهبوا) قال هذا يقصدنا نحن الشعب الفرنسي.**

❖ **لم يعدْ مقبولاً خصوصاً بعد الأبحاث التي قام بها كلود ليفي شترواس القول إن ثقافة شعب أفضل من ثقافة شعب آخر- أدونيس-النظام والكلام-1993دار الآداب-بيروت-ص78.**